النفط ساهم في تحريك البنية الاقتصادية العربية باتجاه كومبرادوري

ايتها الاخوات ايها الاخوة

اتفاقيات كامب ديفيد وما سيتبعها من مخططات ستضع الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي بشكل عام امام مرحلة جديدة ، اعتقد انه يصح علميا القول بأنها ستكون مرحلة تختلف نوعيا عن كافة المراحل السابقة منذ ان بدأ النضال الفلسطيني والعربي ضد الغزوة الصهيونية منذ عام ١٨٨٢ من هنا يصبح من الضروري ومن واجب كافة الاحزاب والقوى العربية الوطنية والتقدمية ويصبح من واجبات الشباب العربي ان يقف امام طبيعة المرحلة الجديدة لكي يفهمها جيدا ، يحددها جيدا ، ويحللها جيدا ، لكي يتمكن في ضوء هذا التحليل وعلى ضوء التحديد العلمي لمعالم المرحلة الجديدة ، ان يحدد بوضوح المهمات الكفاحية لنبدأ على اساس تحديد هذه المهمات مرحلة جادة من النضال ومرحلة جادة من الكفاح نتمكن في نهايتها رغم كل المصاعب ان نحقق لجماهيرنا الفلسطينية والعربية ، مصالحها واهدافها التاريخية ، مما هو المقصود بالقول بأن مرحلة ما بعد كامب ديفيد تشكل نوعيا مرحلة جديدة من النضال الفلسطيني والعربي ؟

لاول مرة في تاريخ مواجهتنا للغزوة الصهيونية كفلسطينيين وكجماهير عربية يحدث ، استعداد قوى عربية ، استعداد نظام عربي ، للاعلان الرسمي عن استسلامه الرسمي امام الغزوة الصهيونية والقبول بها والتعاون معها وفتح الابواب امامها ، ابواب المنطقة العربية ثقافيا وسياسيا واقتصاديا ، مثل هذا الشيء لم يسبق ان حدث كما ذكرت في تاريخ نضالنا الفلسطيني والعربي ، ربما كان هناك اشخاص او رموز استسلموا وتعاونوا مع العدو الصهيوني ، ربما كان هناك عجز لبعض الانظمة العربية او كلها وبعض القوى الاجتماعية عن التصدي الفاعل للغزوة الصهيونية ، ربما بدا فعلا في بعض فترات من تاريخ نضالنا بعض الاتصالات السرية بين بعض الزعماء العرب والصهاينة ، هذا حصل ولكن لم يحدث كما ذكرت منذ بوادر الغزوة الصهيونية للارض الفلسطينية ان اتى نظام عربي او قوة عربية واعلنت رسميا استعدادها للاستسلام امام الغزوة الصهيونية والقبول بها والتعاون معها وفتح ابواب المنطقة امامها ثقافيا واقتصاديا وسياسيا ، وهذا يعني انه لاول مرة نجابه تحالفا امبرياليا صهيونيا عربيا رجعيا ، تحالفا رسميا ومعلنا ، شخصيا لا اذكر اننا جابهنا مثل هذا الوضع قبل هذه الفترة التي بدأت بزيارة السادات للقدس ثم تطورت الى اللقاء في مؤتمر « كامب ديفيد » وما نتج عنه من اتفاقيات ، وبالتالي نستطيع ان نقول ان خريطة التناقضات التي سيسير على أساسها الصراع الفلسطيني والعربي تدخل مرحلة معينة جديدة ، حيث سنجابه تحالفا امبرياليا رجعيا صهيونيا معلنا ، ورسميا يضع مخططاته للقضاء على القوى الوطنية العربية بشكل مشترك ، ربما يقول البعض أن اي تحليل نظري كان يشير منذ وقت طويل الى كون هذه القوى الثلاث تقع في موقع واحد معاد للجماهير ، ربما يقول البعض ان التحالف الامبريالي الرجعي قضية معروفة قديما ليس فلسطينيا فقط وانما عربيا ، هذا صحيح ، ولكن ان الشيء الجديد هو ليس تحالفا رجعيا امبرياليا وانما هو تحالف امبريالي رجعي صهيوني ، وهذا التحالف ليس ضمنيا وانما رسمي ومعلن هذا هو الشيء الجديد الذي سنبدأ في مواجهته بعد مرحلة « كامب ديفيد » ، والموضوع سيكون له نتائج هامة ، يؤثر على مخططات الامبريالية في المنطقة ثم على قدرتها على تنفيذ هذه المخططات ، من هنا يأتي السؤال ، كيف نفسر هنا الذي حصل ، هل حصل من باب الصدفة ؟ هل هوبفعلشخصية السادات ؟ هل سيكون حادثا طارئا ، ربما ينتهي اذا ذهب السادات واتى شخص اخر على رأس النظام المصري ؟ الجواب : ان هذا التفسير النوعي لا يحدث بالصدفة ولا نستطيع ان نعزيه الى شخص السادات وطبيعة شخصية السادات ، قد تكون شخصية السادات عاملا من العوامل ولكن هذا التطور حصل نتيجة تطورات اقتصادية اجتماعية بدأت تحدث في المنطقة العربية وبشكل خاص بعد عام ١٩٧٣ حيث ارتفعت اسعار النفط الى اربعة اضعاف ،

لندقق معا في هذا الموضوع ، موضوع الثروات النفطية العربية وما نتج عنها من تدفق في الثروة المالية للمنطقة العربية وما احدثته هذه الثروة من تطورات وتغييرات اجتماعية طبقية هي التي تكمن وراء خطوة السادات وهي التي تفسر خطوة السادات ، نعرف جميعا مدى غنى المنطقة العربية بثروات النفط ، السعودية وحدها الان يدخلها ١٠٠ مليون دولار يوميا ، كل صباح شمس يدخل للمملكة السعودية ١٠٠ مليون دولار انتاجها النفطي المعلن كما تعرفون او كما يعرف بعضكم هو بحدود ٨،٥ مليون برميل يوميا ، طبعا الملمون بحقيقة الاوضاع داخل المملكة العربية السعودية يقولون بأن حقيقة الانتاج النفطي اليومي يزيد عن ١٠ ملايين برميل يوميا ، فلنضرب بعشر دولارات للبرميل الواحد نخرج بنتيجة واضحة : ١٠٠ مليون دولار يوميا للسعودية ، اي ان السعودية يدخلها في العام ٣٦ مليار دولار هذا بالنسبة للسعودية لوحدها ، ونحن نعرف ان الكويت ايضا بلد نفطي وقطر ايضا بلد نفطي واتحاد الامارات ايضا بلد نفطي ، هل بقيت هذه الثروات بدون احداث اي حركة جديدة في الواقع الطبقي الاقتصادي في المنطقة العربية ، هذا مستحيل ، لقد دخلت هذه الثروة لتفعل فعلها فيما يتعلق في بعض التطورات الطبقية الاجتماعية الاقتصادية ، ليس في بلدان النفط وحدها وانما في المنطقة العربية بكاملها ، وبشكل خاص في مصر حيث اعلنت منذ سنوات عن سياسة اقتصادية جديدة تقوم على اساس الانفتاح ، اي الانفتاح على الرساميل الاجنبية ، والانفتاح امام الرساميل العربية ،

اذا دققنا في هذه الثروات النفطية التي تتحول الى مليارات من البترودولارات ، هاذا نجد ؟

طبعا نعرف جميعا ن قسما لا بأس به من هذه الثروات يعود للولايات المتحدة كثمن للاسلحة ، هذه الاسلحة التي لا نستعملها بطبيعة الحال للدفاع عن استقلالنا الوطني ، وانما تستعمل ضد الجماهير للمحافظة على هذه الانظمة الرجعية ، هذا الشيء معروف بالنسبة لايران ، بالنسبة للسعودية ، وبالنسبة لمعظم بلدان الخليج، قسم يذهب للمصارف الامريكية وللخزينة الامريكية سندات واسهم في شركات ... الخ ، ولكن حتى لو بقي قسم ضئيل نسبيا من كل هذا الدخل ليبقى في السعودية وفي المنطقة العربية فان هذا القسم على ضوء ضخامة الرقم سيكون له تأثيره وفعله في هذه الظاهرة التي حاولت ان اشير لها ، هذه المليارات التي تبقى في بلد من نوع السعودية وتتسرب بطبيعة الحال من السعودية او الكويت الى المناطق العربية الاخرى وبشكل خاص كما ذكرت البلدان التي تتبع سياسة الانفتاح الاقتصادي ما الذي تفعله هذه الثروات المالية ؟ اذا استثنينا البلدان العربية البترولية الوطنية التي تستعمل بغض النظر عن اية ملاحظات نقدية حولها ، ولكن تستعمل القسم الاكبر من هذه الثروات للصرف على خطط التنمية في بلدانها ، اذا استثنينا البلدان النفطية الوطنية مثل الجزائر ليبيا العراق وحصرنا رؤيتنا في بلد مثل السعودية وبلدان الخليج نجد ان هذه الثروات المالية قد يذهب قسم منها للخدمات بنايات وشوارع ومستوصفات ... الخ هذا صحيح ، ولكن القسم الاكبر من هذا الجزء من الثروات بدأ ينمي على الاقل طبقة جديدة ذات ثروات كبيرة ، طبقة من السماسرة والكومبرادور والوكلاء والمقاولين بحيث اصبحنا فعلا امام ظاهرة ملموسة جدا في هذه البلدان بشكل خاص ، هذه الظاهرة لم تبقى محصورة في بلدان النفط نفسها ، حتى الساحة الفلسطينية تأثرت بهذه الثروات النفطية ، تسرب لها جزء من هذه الثروات ، نستطيع ان نسمي امامكم العشرات من المليونيرية الفلسطينيين الذين هم اصحاب وكالات او مقاولات في السعودية او في الكويت ، في قطر في ابو ظبي دون مبالغة ، اسماء معروفة كبرت ثرواتهم بالفترة الاخيرة هذا الشيء نتيجة سياسة الانفتاح في مصر ، تسرب بشكل رئيسي الى الساحة المصرية وربما سمعتم انه الآن في مصر مئات من المليونيرية الجدد في القاهرة ، لنتأمل الان في مثل هذه الطبقة وحجم مصالحها وايضا حجمها هي المتنامي ، هذه الطبقة لم يعد من مصلحتها بأي شكل من الاشكال استمرار الصراع الصهيوني العربي ، استمرار هذا الصراع يهدد مصالحها ويعيق امتداد هذه المصالح لتأخذ مداها وحريتها الكاملة في كل المنطقة العربية بدون حواجز ، بدون قيود ، قوة هذه المصالح اصبحت تدفع دفعا في اتجاه ازالة كافة القيود التي تقف عقبة في طريق نمو هذه المصالح ، والصراع العربي الصهيوني ، قوانين المقاطعة الاقتصادية

ضد « اسرائيل » والتي تؤثر بطبيعة الحال على حرية التعامل بين الرأسمال العربي والرأسمال الامريكي الامبريالي ، كل هذه القيود اصبح لا بد من ازالتها ، اذن خطوة السادات لم تكن من باب الصدفة ، لا نستطيع ان نقول ان ظاهرة واستمرت حوالي ٨٠ عام ، ظاهرة الرفض للوجود الصهيوني ، هذه الظاهرة التي عاشت في المنطقة منذ عام ١٨٨٢ لا نستطيع ان نقول انها تغيرت او بدأت تتغير بالصدفة او نتيجة وجود شخص اسمه السادات على رأس النظام ، هذه الخطوة أملتها فعلا هذه التطورات الاقتصادية الاجتماعية الطبقية ، وبطبيعة الحال يجب أن نربط هذه الصورة بمصالح الامبريالية ومصالح الصهيونية ايضا في المنطقة وبالتالي نرى عملية الترابط الجدلي بين كل هذه المصالح ، التي اصبحت تشكل قوة دافعة باتجاه ازالة الحواجز ، وازالة القيود التي تعترض نمو هذه الظاهرة ليس سهلا على الصهيونية ، ان ترى كل هذه الثروات النفطية في المنطقة العربية ثروات نفطية في الجزيرة وثروات نفطية في الخليج العربي ومؤشرات لثروات نفطية في سيناء ليس سهلا على الرساميل الصهيونية وعلى المصالح الصهيونية ان ترى كل هذه الآفاق امام مصالحها ثم تقف مكتوفة الايدي ، لا بد من كسر هذه القيود ، حتى ايضا تجد الرساميل الصهيونية ، والمصالح الصهيونية مداها الكامل في الترابط والتشابك مع مصالح الرجعية العربية والبرجوازية العربية من هذا النمط وبالتالي الموضوع مداه الكامل ، ونفس الشيء ينطبق على المصالح الامبريالية، في الفترة الاخيرة وقبل زيارة السادات للقدس ، ربما قرأتم او سمعتم حول موضوع كلمات من قبل عدد من رجال الكونغرس الامريكي ، يقفون امام قوانين المقاطعة العربية ضد « اسرائيل » ويطالبون بالغائها ، لماذا ؟ ، ليس

المرحلة التالية أساسها ضرب حركات التحرر العربية والمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية

حبا فقط بالصهيونية وانما حبا بمصالحهم ، لان بعض هذه المصالح اصبحت هذه القوانين تشكل قيودا امامها ، من هنا لا بد من ازالة هذه القيود حتى تلتحم هذه المصالح ، مصالح الرجعية العربية التي اصبحت تملك ثروات كبيرة مع مصالح الصهيونية مع مصالح الامبريالية ، ومن هنا فنحن أمام مجرى فرضته هذه التطورات الاقتصادية الاجتماعية الطبقية المرتبطة اساسا في موضوع النفط وثروات النفط في المنطقة العربية ،

دققوا جيدا في تصريح الملك الحسن الثاني بعد زيارة السادات للقدس كان له تصريح معروف جيدا ، اثر زيارة السادات للقدس ، لا استطيع ان اعيده نصا ، ولكن يقول بما معناه : لماذا نقف ضد هذه الزيارة ، هذه الزيارة ستأتي بالخيرات وستقيم جنة امامنا ، وعندما ستتلاحم - اعتقد هذه كلماته - الثروات العربية مع التكنولوجيا الصهيونية فان المنطقة ستصبح جنة ، لمن ؟ لجماهيرنا في شاتيلا ، في برج البراجنة ، في البص ، في الرشيدية في الوحدات ؟ ابدا ، جنة لهؤلاء الناس ، اصحاب هذه المصالح بهذا المعنى تصريح الملك الحسن الثاني صحيح وبالتالي لماذا تبقى هذه القيود ، يجب ان تزال هذه القيود حتى فعلا تتدفق وتتشابك هذه المصالح ، هذا هو العامل الرئيسي وراء خطوة السادات ، طبعا هناك لا شك عامل آخر ، قبل ان اشير اليه ، اريد ان اجيب على سؤال ربما يرد في اذهانكم ، هل هذه المصالح الرجعية هي مصالح جديدة ؟ طبيب الرجعية العربية لها مصالحها منذ عام ١٩٤٨ ، لماذا اذن لم تجرأ في تلك الفترة على ازالة القيود ، قيود المقاطعة ، والقيود التي فرضتها عملية محاصرة « اسرائيل » ! الجواب ان حجم هذه المصالح الآن اكبر بكثير من حجم المصالح كما كانت عليه في عام ١٩٤٨ ، الرأسمال المالي لدى العرب الان اصبح بحجم كبير ، يمكن في عام ١٩٤٨ كنت تعد في فلسطين من الاغنياء ، كنت تسمي مجموعة من الاسماء ، لكن ما هو حجم غناهم ايضا ؟ محدود ، الان طبيعة هذه الثروات كبرت ما كان في ثروات عربية في مستوى انها تريد آن تشق طريقها الى امريكا والى .....

اما العامل الآخر الذي دفع بهذا التحالف ، التحالف العربي الصهيوني الرسمي المعلن الموثق في اتفاقيات ، فهو مرتبط بطبيعة الحال بالتطورات التي حصلت في السنوات الاخيرة على الصعيد العالمي ، اي رصد لحركة التاريخ ، تشير بشكل واضح الى الانتصارات المتتالية لمعسكر الاشتراكية ، والحرية والتقدم في العالم ، هذه ظاهرة واضحة تماما كل الوضوح ، نكاد ننساها احيانا وسط آلامنا ومآسينا ، سواء في الساحة الفلسطينية او في السودان او في معظم البلدان العربية ، ولكن اذا تحررنا من الوضع المحلي الصعب الذي تعيشه حركة التحرر الوطني العربي في هذه الفترة للنظر الى حركة التاريخ على صعيد عالمي ، نجد انه هناك فترة خاصة تمر بها الانسانية، لو رصدنا هذه الحركة منذ ٦١ عاما فقط ، نجد انه قامت ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ ، صمدت رغم كل المحاولات المتكررة لسحق الدولة الاولى للعمال والفلاحين ، بعد الحرب العالمية الثانية لم نعد امام الاشتراكية في بلد واحد ، وانما اصبحنا امام منظومة تضم البلدان الاشتراكية ، ثم انتصار كوبا ، ثم انتصار فيتنام ، ثم انتصار لاوس ، كل هذه الانتصارات في الفترة الاخيرة، الانتصارات في افريقيا ، ما حصل في افغانستان ، اليمن الديمقراطي على وشك انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية لتدخل مرحلة التطور الاشتراكي اذن ماذا عن مصر هذا النظام الرأسمالي كله ؟ الرأسمالية والرجعية عندما تتحدث عن النفوذ السوفيتي وامتداده في المنطقة العربية هي في الواقع تتحدث عن خطر الجماهير ، خطر حركة التحرر الوطني العربي ، التي باتت تهدد فعلا ، ان لم يكن هذا العام بعد خمس سنوات ، ان لم يكن بعد خمس سنوات بعد عشر سنوات ، ٢٠ سنة اذا طالت ، لان عملية الرصد واضحة، لا تكاد تمضي فترة عشر سنوات الا ويتحقق اثناءها مجموعة من الانتصارات والعملية لم تتوقف منذ عام ١٩١٧ ، انتصار وراء انتصار على صعيد عالمي ، والمنطقة العربية منطقة خاصة بالنسبة لمصالح الامبريالية ، كل آلية الانتاج في العالم الرأسمالي تتوقف على موضوع النفط حتى هذه اللحظة ، وكل ما يقال عن موضوع الطاقة الشمسية والطاقة الذرية ... الخ ، علميا حتى هذه اللحظة ليس هناك أي أطر لاستبدال النفط كطاقة ، بأي طاقة اخرى قبل عام الفين ، من هنا استماتت الامبريالية للمحافظة على مصالحها في هذه المنطقة ، هذه العوامل بمجموعها هي التي تفسر خطوة السادات الاخيرة ، اردت ان أؤكد على ذلك لاشير اننا امام مجرى له سنده في التطورات الاقتصادية والاجتماعية ، ولسنا امام حدث صدفة ، او لسنا امام حدث مرتبط بطبيعة الشخص الذي اقدم على هذا الحدث ، ومن هنا خط السادات هو المؤشر للطريق الذي ستسير به الرجعية العربية بشكل عام على ضوء مصالحها ، مهما حاولت ان تضلل حقيقة موقفها من خطوة السادات في هذه الفترة ، اساسا رغم كل ما اثارته خطوة السادات من ذهول ثم غيظ ثم اشمئزاز ثم تحفز في الجماهير العربية ، رغم ذلك هناك في هذه اللحظة بالذات اربع انظمة رجعية عربية اخرى تؤيد السادات علنا ، النميري ، قابوس ، الملك الحسن والنظام الرجعي في اليمن الشمالي ، حتى اقول ممثليهم في مؤتمر بغداد كانت علنا وبصراحة تدافع عن السادات وعن خطوة السادات ، والبقية ستلحق ، متى ستلحق ، كيف ستلحق ، نحن بصدد استعراض عملية اللحوق ، هذه التفاصيل متروكة للمراقبة السياسية اليومية ولكن هذا الطريق هو طريق الرجعية العربية في المنطقة ،

بعد ذلك يصبح من الضروري ، واذا اتفقنا على هذا التحليل ، من خطوة السادات ، يصبح من الضروري ان لا نستهين بالتعقيدات والصعوبات التي ستواجهها حركة التحرر الفلسطيني والعربي ، على ضوء قيام هذا التحالف العلني والرسمي والموثق ، من الخطأ ان نستهين بهذا التطور الكيفي الجديد الذي حصل ، ومن الخطأ ان نقول اننا كنا نواجه هذا الحلف غير المقدس منذ سنوات وسنوات ، هذا الحلف غير المقدس الان يترابط ويتشابك ويضع الخطط الموحدة للقضاء على كل ما هو وطني وتقدمي وثوري في المنطقة العربية ، هذا هو العنوان الذي يجب ان يبقى في رؤوسنا حتى نرى من خلاله تطور الاحداث وعلى ضوئه نستخرج مهماتنا ، كارتر قضى اربعة عشر يوما (١٣ - ١٤ يوم ليس هناك فرق كثير) ١٤ يوم ليل ونهار لانجاح مؤتمر « كامب ديفيد » ، كارتر كما اصر على انجاح مؤتمر كامب ديفيد ، من الطبيعي ان يصر نفس الاصرار ، وربما مستوى ارقى من الاصرار على انجاح وتنفيذ اتفاقيات « كامب ديفيد » ، ليس مهما ان تعقد اتفاقيات من ثم تضرب هذه الاتفاقيات ، تضربها حركة الجماهير او تتجاوزها ، سيكون هناك اصرار امبريالي بالدرجة الاولى ، ثم امبريالي صهيوني رجعي ، ساداتي في